﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: 108]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا أوحَى اللّه في السّورةِ ما أوحَى من البلاغِ والموعظةِ والتكاليف والقصص؛ ختمَ ذلك بِخلاصةِ البيان، وفصلِ الخِطاب، وهو أنَّ فائدةَ طاعةِ الحقِّ الذي جاءهم ليستْ راجعةً إلّا إليهم، وضررَ الإعراضِ ليس عائدًا إلّا عليهم[1].

لا ينفع اللهَ طائعٌ، ولا يَضُرُّهُ عاصٍ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِوَكِيلٍ﴾: الوكيلُ مِن وَكَلَ: وهو أصلٌ يدلُّ على الاعتمادِ على غيرِك في أمْرك، ومن ذلك: الوكيلُ الفاعِل الذي يَتوكَّل، والوكيل المفعول المتوكَّل عليه، وليس شرطًا أن يكون التوكُّل عن ضعفٍ وعجزٍ في المتوكِّل؛ لأنَّه مُطلَقُ إنابةِ غيرِك عنك ليقومَ مقامَك، والمراد هنا: وما أنا بموكَّلٍ بكم حتى أجْبِركم على الإيمان[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمُرُ اللّه نبيَّه ﷺ أنْ يقول للنّاسِ جميعًا: قد جاءكم الحقُّ من ربِّكم: الرَّسولُ، والقرآنُ، فمن اهتدى بالحقِّ اتِّباعًا وطاعةً؛ فنفْعُ عملِه له، ومن أعرضَ عن الحقِّ، وأصرَّ على الضلال؛ فضَرَرُ ضلالِه على نفْسِه، وما أنا موكَّلٌ بكم حتى تكونوا مؤمنين، فما عليَّ إلّا بلاغُ ما أُرسِلْتُ به[3].

أوامرُ الله تعالى هاديةٌ إلى سواء السَّبيل، وداعيةٌ إلى الخير مبيّنةٌ طريقَي الهداية والغَواية

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/219.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وكل).
(3) مجمّع الملك فهد، التفسير الميسّر، ص: 221.

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى أنَّ اللّه تعالى أنزل إلى الناسِ هذا القرآنَ فيه الخبرُ الصادقُ المؤيَّدُ بالبراهين، الذي لا شكَّ فيه بوجهٍ من الوجوه، وفيه تبيانٌ لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكامِ والمطالبِ الإلهية والأخلاقِ المَرْضية، ما فيه أعظمُ تربيةٍ لكم، وإحسانٍ منه إليكم، فقد تبيَّن الرشدُ من الغَيِّ، ولم يبقَ لأحد شبهةٌ، وتقرِّرُ الآية الكريمةُ أنَّ المرءَ يسعدُ، ويشقى بكسبه، لا بكسبِ غيره[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نُكْتَةُ الفصلِ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا﴾:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ يُقرِّرُ مضمونَ ما مضى في السّورةِ كلِّها من استدلالاتٍ ومُجادلاتٍ وقَصَصٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، فأتَمَّ مضامينَ السورة، ثم ابتدأ بتقريرِ أنَّ ما سبق حقٌّ وهدًى واجبُ الاتِّباع، فالجملة تعقيبٌ مَسوقٌ مَساقَ التقاريرِ المُستقلَّة التي تَتْبَعُ الأخبار، وهي جاريةٌ مجرى الخُلاصة التي تُفْرَدُ بعد التفصيل، ولذلك فُصِلَتْ لكونها في معنى البيانِ الذي تُشْفَعُ به البلاغاتُ والرِّسالات[2].

تُشْفَعُ الرسالات التفصيليَّة بالبياناتِ المُلَخَّصَةِ لغرضِها

فائدة التَّعبير بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ ودلالته:

صُدِّرَتِ الآيةُ بفعل الأمرِ ﴿قُلْ﴾؛ لتنزيل الجُملةِ مَنْزلةَ البلاغ الذي يُوَصَّلُ، كما صَدَر مِنْ جِهَتِه؛ لزيادةِ العنايةِ بمضمونه، ولإعطائِهِ وَسْمَ العباراتِ الخاصَّة التي تدلُّ بمنطوقها على أنَّ مُبلِّغَها تَلقّاها من جهةٍ أعلى، وليستْ مَقولةً مِنْ عِنْديّاتِ نفْسِه[3].

رسولُ اللهِ بلَّغَ الكتابَ، كما نزَل، لم يتصرَّف في حرفٍ فيه

سِرُّ مجيء التركيب على أسلوب الإنشاء الطلبي:

لم يقل في السياق الكريم: (قُل للنّاس قد جاءكم الحقُّ من

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 221، والجزائري، أيسر التفاسير: 2/517.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/308، وصافي، الجدول: 11/210.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/308.

ربّكم)، بل جاء بأسلوبِ النِّداء لِتضمينِ الخبر الذي سيُتْلى عليهم معنى الإنشاءِ؛ لأنَّ النِّداء إنشاءٌ طلبيٌّ بما استوجبه من معنى طلَبِ الإقبال، فإذا كان الطلبُ المذكور لأجْل الإخبار بما له تعلُّقٌ بالأحكام التكليفيَّة، كان النداءُ حينئذٍ إنشاءً طلبيًّا اقترن بما يستلزم تكليفًا، والتكليفُ إمّا أمرٌ أو نهي، وذلك إنشاء، فكانتِ الجملة الخبرية: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ الواقِعةُ جوابًا للنداء مُتضمِّنَةً معنى الإنشاء، أي: اتَّبِعوا الحقَّ من ربكم، واهتَدُوا، ولا تَضِلّوا.

في نداءاتِ اللهِ على النّاس إيذانٌ بمقامِ النّاسِ عنده

معنى ﴿قَدْ﴾ ودلالة دخولها على الفعل الماضي:

اقترنتْ جملة جوابِ النداء بحرف التحقيق ﴿قَدْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾، لإفادة أمرين:

الأوَّل: تحقيقُ الحقِّ في ذاتِه، وأنَّه حَقٌّ اليقينِ لا ريبَ فيه.

الثاني: تحقيقُ مَجيءِ الحقِّ إليهم، وإبلاغِه لهم، وعِرفانِهم به، وعدم خفائِه عليهم، وفي هذا تسجيلٌ عليهم بالحُجَّةِ، وقطْعٌ لأعذارهم في الرَّفْضِ وعدمِ الإيمان[1].

الحقُّ ثابتٌ في نفْسِه لا يُوهِنُه زَيْغُ مُرتابٍ ولا كَيْدُ كَفور

دلالةُ (ال) في ﴿ٱلْحَقُّ﴾:

(الـ) في لفظ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ من قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ لِبيان الحقيقةِ والماهية، وهي لاستغراقِ صفاتِ الجنس وخصائصِه، ولذا فهي تفيد الدلالة على الكمال، أي: قد جاءكم من الله الحقُّ الكامل الذي لا نقصَ يشوبه، ولا شُبْهَةَ تعتريه[2].

الحقُّ لا يكون إلّا كامِلًا

بلاغة المجاز في إسناد المجيء إلى الحقِّ:

في إسناد المجيء إلى الحقِّ في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ أكثر من توجيه بيانيٍّ، فيمكن أن تُحمل على الاستعارةِ

سُمّي الرسولُ والقرآنُ بالحقِّ؛ لأنَّهما واسِطتا إظهارِه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/308، وصافي، الجدول: 11/210.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/220.

التَّصريحيَّة، حيثُ شبَّه مجيء الرسول ﷺ إليهم بمجيء الحقِّ ذاتِهِ، بجامع المطابقةِ للواقع في كلٍّ وصدقِ الرسول ﷺ في نفسِه، ويمكن أن يكون في إسناد المجيء إلَى الحَقِّ مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ فاعل المجيء هو الرسول، وليس الحقَّ ذاتَهُ، ويصحُّ إجراؤهُ مجازًا مرسلًا علاقته المُسبَّبيَّة، حيث عبَّر بالمُسبَّب ﴿ٱلۡحَقُّ﴾، وأراد السَّبَبَ، وهو الرسول ﷺ؛ لأنَّه سبَبُ الحقِّ وواسطتُهُ[1].

دلالة ﴿مِن﴾:

لا يُعرَفُ الحقُّ إلّا بالله، ولا يكونُ إلا منه

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ حرفُ ابتداءٍ، وهو ومدخولُه نَصٌّ في تعيينِ المصدرِ والجهةِ التي ابْتُدِئَ منها مجيء الحقِّ، وابتداء الغاية هنا مجازيٌّ، وفي معنى هذا الحرفِ نُكتةٌ جليلة: وهي الإشارة إلى أنَّ الحقَّ لا يكون إلّا من اللّه الجليل[2].

فائدةُ التَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة، وغرض إضافته:

كلُّ ما أضيفَ إليه وصفُ الرُّبوبيَّة أريدَ به الإحسان

عبَّر بلفظ الرُّبوبيَّة وأضافه إلَى ضَميرِ النّاس في قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ لغرضين:

الأول: أنَّه لو عبَّر بغير وصف الربوبيةِ؛ لكان في غير موقع الإضافة، كما لو قيل: قد جاءكم الحقُّ من اللّه أو من العزيز أو الرحمن أو غيرها من أسماء اللّه تعالى لم يُضَف، فلمّا كانت الإضافة إلى ضَميرِ المخاطبين مقصودةً؛ جاء بلفظٍ عريقٍ في الإضافة.

الثاني: أنَّ اصطفاء التعبير بالربوبية دونَ غيره لِكونِ مجيءِ الحقِّ إليهم ممّا يُصلِحُهم، وينفعهم، ويُقِيمُ أحوالهم وشؤونهم على السياسةِ السليمة والتدابير المستقيمة، والسّيادةُ، وَالقِوَامَةُ،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/583.
(2) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/276، وابن عادل، اللباب: 10/424.

والإصلاحُ من شؤون الربوبيَّة الكاملة، فعبَّر بأَنْسَبِ ما يوافِقُ المعنى، ويُلائِمُ السّياقَ الجليل[1].

موقع جملة ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ معطوفةٌ على جملة جواب النداء: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ﴾، وهي مُسَبَّبَةٌ عنها مُفرَّعَةٌ عليها، أي: إذا جاءكم الحقُّ؛ فتسبَّبَ عن ذلك هدايةُ الطائع وضلال العاصي فكذا، فالوصل بالفاء إشارة إلى تَرتُّبها على ما قبلها، وهي في معنى التفصيل، أي: النّاس بعد مجيء الحقِّ فَريقان: مهتدٍ أو ضالٌّ، أو هي الفصيحة، فمدخولها معطوفٌ على شرطٍ مُقدَّرٍ هو جوابُه، أي: إذا كان ذلك كذلك؛ فمن اهتدى؛ فإنَّما يهتدي لنفسه[2].

النّاسُ إمّا بائعٌ نفسَه للهُدى أو للهوى

دلالة ﴿فَمَنِ﴾:

﴿فَمَنِ﴾ في قوله: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ شرطيَّة أو موصوليَّة، فباعتبارها شرطيَّة، فالفاء في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ واقعة في جواب الشرطِ، وهي الرَّابطةُ للجزاءِ بالشرط، وباعتبارها اسم موصول، فالفاء لِعطْفِ مدخولها ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ على صِلةِ الموصول ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، أو أنَّ الفاء تعقيبيَّة لإلحاقِ مدخولها ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ بجملةِ الجزاء، لِشبَهِها بها، لكون الموصولِ مُضمَّنًا معنى الشرط، وباعتبارها عاطفة تكون جملة ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ متَّصلة مع ما قبلها لتمامِ المناسبةِ واتِّصال المعنى[3].

كلٌّ مرهونٌ بما كَسَب

معنى الفاء في: ﴿فَإِنَّمَا﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ تُشيرُ إلى كونِ الشرطِ، وهو قوله: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ سببًا للجزاء المذكور، فالفاء سببيَّة[4].

يَـزدادُ الإنسانُ مِـنْ جـنْـسِ ما تلبَّسَ به

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/308.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/583، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/308، ودرويش، إعراب القرآن: 4/308.

(3) السّمين الحلبي، الدّرّ المصون: 6/276، ودرويش، إعراب القرآن: 4/308، والخطيب، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 6/261.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/583.

بلاغة القصر في: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾:

لا يَـقـعُ ضـررُ الـضالِّ إلّا على نفْسِه

(إنّما) لفظٌ يفيد المبالغة والتأكيد، وينضمُّ إليه - هنا - إفادة معنى القصْر، أي: لا يَنْفَع المهتدي إلّا نفسَه، ولا يَقعُ ضررُ الضالِّ إلّا على نفسِه، وغرضُ مجيء التركيبِ على طريقةِ القَصر قطعُ توهُّم الكافرين أنَّهم بإيمانِهم يَمُنّونَ على الرسولِ والمؤمنين، أو أنَّهم بكفْرِهم يَضُرّون الرَّسولَ أو أتباعَه بإضعافِهم أو إغاظَتِهم[1]، وهو من قصر الصِّفة على الموصوف.

فائدة التَّعبير بالمضارع في: ﴿يَهۡتَدِي﴾:

الإيمانُ كشجرةٍ أصلها ثابتٌ إنْ لمْ تُسْقَ لم يكن لها ثَمَرٌ

لم يطَّرِد السِّياقُ مع صيغة الماضي في فعل الشرط، فلم يقل: (فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسِه)، بل جاءَ التعبيرُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾؛ للمُغايرةِ بين معنى الهدايتين، فالهداية الأولى هدايةُ الدُّخولِ في الإسلام بالإقرارِ والاعتراف، والهداية الثانية هدايةُ الاستمرار على ذلك وتَجديدِ استحداثِ العمَلِ والتَّقوى المُصَدِّقَةِ للاهتداء، فقوله: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ هو أصل الهُدى المُحقَّق، ولذا عبَّر عنه بالماضي لتحقُّقه ووقوعه، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي﴾ هو زيادةُ الهُدى ولذا عبَّر عنه بالمضارع؛ لأنَّ الاستزادة متجدِّدة، كنحوِ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد ﷺ: 17].

معنى اللّام في: ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ﴾:

يَحصدُ العبدُ عاقبةَ ما يفعله، قَصَدَهُ أم لم يقصِده

أفاد حرفُ الاختصاص اللام في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ معنى المِلْك والاستحقاق، كأنَّه قال: الهُدى له، كما يُقال: الغلامُ له والعبدُ له، أو اللام للتعليل، أي: يهتدي لأجلِ نفسِه أي: لِنَفْعِها، أو للعاقبة والصيرورة باعتبار أنَّ نَفْع النَّفسِ بالهدى أو إضرارها بالضلال قد لا يكون غرضًا للفاعل وهو المُهتدي أو الضالُّ، فيكون النَّفع أو الإضرار مُترتِّبًا عن فعل الفاعل لا مُعلَّلًا به[2].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/500، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/309.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 10/6261، والخضري، من أسرار حروف الجر، ص: 217، 259.

موقعُ جملة: ﴿وَمَن ضَلَّ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ معطوفٌ على قولِه: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، وغرضُ الوصل بالواو: استِتْمامُ التفصيلِ في أحوال النّاس بعد مجيء الحقِّ إليهم، فذكَر حالَ المهتدين وما يُقابلهم من صِنْفِ الضّالّين[1].

ما أقربَ الشَّيءَ مِـنْ ضِـدِّه في الـلـفـظ! ومـا أبـعـدَه عـنـه في المعنى!

معنى (على):

(على) في قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ للاستعلاء المجازي، وفي التعبير بـ (على) في جانب الضلال تصويرُ معنى الخصومة بين الضالِّ ونفْسِه، كأنَّه بضلالِه قد استعلى على نفْسِه بالخصومةِ فأوْبَقَها، وأرداها بضلاله، فكان بذلك عليها، وهي تحتَه مهزومةٌ مقهورة[2].

الضّالُّ ساعٍ في إهـلاكِ نفْسِه بِسوءِ عمَلِه

بلاغةُ الطباق والمقابلة:

بين قوله: ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ و﴿ضَلَّ﴾، وقوله: ﴿يَهۡتَدِي﴾ مع ﴿يَضِلُّ﴾، وقوله: ﴿لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ مع ﴿عَلَيۡهَاۖ﴾ طِباقٌ سِيقَ لِلمُفاصَلةِ والمُفاضَلة بين الحال وضدِّه، لِتَتَمايَزَ الأحوالُ وعواقِبُها بين الفريقين، فبالأضدادِ تتمايزُ الأشياءُ، ونكتةُ سَوْقِ الكلام على أسلوب الطّباق: استيفاء البيان وإقامةُ الحجَّة التي تقطع الأعذار بأخصر عبارةٍ، وأتمِّ توصيفٍ، وبين مجموع التركيب في قوله: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ مع تركيب ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ مُقابلةٌ بديعة تَصوغُ التركيبين مَصاغ الأمثال السّائرة والقوانين المُطَّردةِ المُحكَمَة[3].

تَتَمايَزُ الأشياءُ بأضدادِها

معنى الواو في: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾:

جملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ معطوفةٌ على جملة جواب النِّداء: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، والعطفُ لإتمام التفريع الحاصل في جملتَي التفصيل: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ و﴿مَّن ضَلَّ﴾؛ "لأنَّه إذا كان اهتداءُ

الـرسـولُ ناصِحٌ ومُبَلِّغٌ لا ضامِن ولا وكيل

(1) صافي، الجدول: 11/210.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 10/6261.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/147.

المهتدي لنفسِه، وضلالُ الضالِّ على نفسِه؛ تحقَّقَ أنَّ النبيَّ ﷺ غيرُ مأمورٍ من الله بأكثرَ من التبليغِ، وأنَّه لا نفعَ لنفسِه في اهتدائِهم، ولا يَضرُّه ضلالهم"[1]، ويصحُّ توجيهُ الواوِ إلى معنى الاستئناف، باعتبار أنَّ جملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ تأسيسٌ لبيانِ وظيفةِ الرسولِ فيهم، وأنَّها مُحدَّدَةٌ في النُّصحِ والتبليغ، فليس وكيلًا عنهم أو ضامِنًا لهم[2]، كما أنَّه لا مانع من صرفها على الحال، والمعنى: والحالُ في ذلك كلِّه أنّي لست عليكم بوكيل.

فائدة التَّعبير بالجملة الاسميَّة الَّتي تقدَّم النَّفي فيها:

كلٌّ مسؤولٌ عن نفسِه، فلا تُغْني نفسٌ عن نفْسٍ شيئًا

أفاد التعبيرُ بالجملة الاسميَّة المنفيَّة في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ دوامَ الحكْم المنفيِّ المذكور، وهو نفيُ وكالتِه ﷺ عنهم في أمر الاهتداء أو الضَّلال، فهم مالِكون لأمْرِهم مُختارون لِما يَتحمَّلون عاقِبتَه وحدهم[3]، وفي تقديم النَّفي على المسند إليه والمسند الفعليِّ ما يُعطي معنى التَّخصيص، أي: لستُ أنا وكيلًا عليكم، لكنَّ غيري قد يتولّاكم بذلك.

نكتةُ تقديم شبه الجملة: ﴿عَلَيۡكُم﴾:

تقديمُ ما حقُّه التأخيرُ يكون لتخصيصِه أو قصْرِه

تقديمُ قوله: ﴿عَلَيۡكُم﴾ على قوله: ﴿بِوَكِيلٖ﴾، ولم يقل: (وما أنا بوكيلٍ عليكم) لِغرضين:

الأوَّل: تقديمُ ما دارَ حوله المقصود على ماهو تَبَعٌ له، فلمّا كان الحكْمُ مَسوقًا أصالةً لنفي تصرُّفه ﷺ في شأنِ اهتدائهم أو عدَمِه؛ قدَّم ضميرَ الناس؛ لأنَّ عائِدَ الحكْم مُتعلِّقٌ بهم.

الثاني: تقديمُ ما هو أثْقَلُ في الفاصِلة؛ لِلْخَتْم بما هو أخفُّ وأليَقُ بموقِع الحرفِ والصَّوت، فلو قال: (وما أنا بوكيلٍ عليكم)؛ لكانَ التعبيرُ قَلِقًا في الفاصلة، غيرَ قارٍّ فيها ولا مَكين[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/309.
(2) صافي، الجدول: 11/210.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/309.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 9/220.

معنى الباء في: ﴿بِوَكِيلٍ﴾:

لا اختصاص لأحدٍ بوكالةِ الرسول عنه

الباء في قوله: ﴿بِوَكِيلٍ﴾ للتأكيد، وهي تفيد استغراق النَّفي لِما في حيِّزِه مِنْ حُكْم، أي: وما أنا عليكم بوكيلٍ أدنَى وِكالةٍ[1].

دلالة التَّعبير بـ ﴿بِوَكِيلٍ﴾ مادّة وبناءً:

الوكيلُ في محلِّ مَن ينوب عنه في التَّصرُّف والضَّمان

اختيرَ التعبيرُ بلفظ: ﴿بِوَكِيلٍ﴾؛ للدلالة على معنى النيابة في الموكولِ إليه، ومعنى الاعتماديَّة في الموكولِ عنه، وجاءت على صيغة (فَعِيل) لإفادة المبالغة في معنى الوصف، و(فَعِيل) - هنا - يصحُّ إجراؤها على معنى (فاعِل)، أي: قائِمٌ بالوكالة، أو على معنى (مفعول)، أي: موكولٌ إليه الأمر، ومجيئها على (فعيل) دون (فاعل) أو (مفعول)؛ للدَّلالة على ثبوتِ الصِّفةِ لصاحبِها فكأنَّها سَجيَّةٌ له، وعلى اتصافِه بها بالفعلِ حالًا واستقبالًا، أي: الوصفُ قائمٌ بصاحبه، لا أنَّه سيتَّصِفُ به مستقبلًا مع إمكان عدم اتِّصافه به في الحال، وفي مجيء اللفظ على هذا الوزن إيماءٌ إلى أنَّ وصف الوكالة عليهم منفيٌّ عن الرسول ﷺ من جميع الوجوه، فلا هو وكيلٌ عنهم لا في الحال ولا في الاستقبال ولا على جهةِ الدوام ولا على جهة الاستمرار[2].

بلاغة الختم بـ ﴿بِوَكِيلٍ﴾:

التناسبُ مع معنى الآية وسياقها، والانسجامُ مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة

خُتمت الآيةُ بكلمة ﴿بِوَكِيلٍ﴾؛ لأنَّها تُناسِبُ معنى الآية وسياقها، وتنسجم مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة في سورة يونس عليه السلام.

فمن حيث المعنى: فكلمةُ ﴿بِوَكِيلٍ﴾ تعني الحافظَ والقائم بالأمر[3]، وهي صفةٌ من صفات الله تعالى، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء: 132]، ﴿وَقَالُواْ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3647.
(2) فاضل السامرائي، معاني الأبنية، ص: 55.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (وكل).

﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173] وتدلُّ على علمه وقدرته وحكمته ورحمته. فاللّه هو الوكيلُ على كل شيء، وهو الذي يدبِّر أمورَ الخلقِ، ويقضي فيها بما يشاء، واللّه هو الوكيلُ على رسوله، الذي ينصره، ويعزِّره ويحميه من الأعداء، واللّه هو الوكيلُ على المؤمنين، الذي يرزقُهم، ويغفرُ لهم، ويهديهم، ويصبِّرُهم، واللّه هو الوكيلُ على الكافرين الذي يضلُّهم، ويخزيهم، ويمهلهم، ويعاقبهم، فبذكر هذه الصفة في نهاية الآية، يتَّضحُ أنَّ اللّه هو المتولِّي لجميع الأمور، وأنَّه لا يحتاجُ إلى شريكٍ أو وسيط أو معين، وأنَّ الرسولَ ليس مسؤولًا عن هداية النَّاسِ أو ضَلالَتِهم، بل هو بشيرٌ ونذير، وأنَّ اللّه هو الذي يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، وأنه هو الحسيبُ والمنتقم والشفيع والمولى.

ومن حيث السياقُ: فكلمةُ ﴿بِوَكِيلٍ﴾ تناسبُ موضوعَ السورة، وهو الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالرسول واليوم الآخر، والردُّ على الشرك والكفر، وبيان القصص والأحكام، ففي كلِّ هذه الموضوعات تتجلّى صفة اللّه تعالى بكونه وكيلًا لجميع الأمور، والمتولي لجميع الشؤون، والمدبِّر لجميع الأحوال.

ومن حيث الانسجامُ الصَّوتي: فكلمةُ ﴿بِوَكِيلٍ﴾ تنسجمُ مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة في هذه السُّورة الكريمة التي ينتهي معظمُ فواصلها بحرفَي الميم والنون.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الوكيل والكفيل:

الوكالةُ تبرُّعٌ، والكفالةُ إلزامٌ

الوكيلُ هو الذي يَتولّى مُباشَرةَ أمْرٍ لغيرِه نيابةً عنه فيه، والكفيل: هو الذي يتحمَّل أمْرَ المكفولِ، ويَضْمَنُ القيامَ به.

والفرق بينهما: أنَّ الوكيلَ يقوم بالنيابةِ عن الموكِّل على جهةِ

التبرُّع لا الإلزام، أي: ليس مُلزمًا بإتمامِ الأمرِ إذا عجز عنه الموكِّل، وأمّا الكفيل؛ فهو ضامِنٌ للقيام بالشيء عن المكفول، ويلزمُه الإتمامُ عند عجز المكفول، أو يَلزمُه الاستمرار في كفالتِهِ حتّى يتحقَّقَ الغرض، ولذلك قالوا: الوكيل مؤتمَن، والكفيل ضامِن، والوكيل متبرِّع والكفيلُ مُلتَزِم، وعليه: فالوكيلُ أعمُّ، والكفيلُ أخصُّ، فليس كلُّ وكيلٍ كفيلًا، وكلُّ كفيلٍ وكيلٌ[1].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (كفل، وكل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»